سياسة حزب الشعوب الديمقراطي (HDP) تجاه الشرق الأوسط

إبراهيم آيدن

تكشف مصادر الدوافع لحزب الشعوب الديمقراطي وخطه التقليدي والسياسة التي ينتهجها، أنه كيان تحت التأثير وليس حزبا سياسيا مستقلا. وهذا يشير إلى أن القرارات الاستراتيجية للحزب ليست ناتجة عن آليات صنع القرار المشروعة بداخله، ولا تعتبر سياساته تجاه الشرق الأوسط استثناء في هذا الصدد.

تأسس حزب الشعوب الديمقراطي (HDP) في تركيا عام 2012، وهو يواصل نشاطه في المجال السياسي منذ ذلك الوقت، ويعتبر استمرارا وجزءا من الخط التقليدي لحزب العمل الشعبي (HEP) الذي تم تأسيسه في عام 1990. يملك حزب الشعوب الديمقراطي اليوم 56 مقعدا وله كتلة نيابية في مجلس الأمة التركي الكبير (البرلمان). وتعد هذه التفاصيل مهمة، يجب التطرق لها قبل تقييم سياسة حزب الشعوب الديمقراطي بشأن أي موضوع. حيث تكشف مصادر الدوافع لحزب الشعوب الديمقراطي وخطه التقليدي والسياسة التي ينتهجها، أنه كيان تحت التأثير وليس حزبا سياسيا مستقلا. وهذا يشير إلى أن القرارات الاستراتيجية للحزب ليست ناتجة عن آليات صنع القرار المشروعة بداخله، ولا تعتبر سياساته تجاه الشرق الأوسط استثناء في هذا الصدد.

نبذة تاريخية عن حزب الشعوب الديمقراطي

يزعم حزب الشعوب الديمقراطي أنه حركة سياسية كردية، ولكن بشكل عام يمكن القول إنه يأتي في المرتبة الثالثة بعد إمرالي وقنديل في قائمة مراكز الثقل للحركة الانفصالية التي يسيطر عليها حزب العمال الكردستاني (بي كي كي). هذا الترتيب ساري المفعول أيضا في مراحل صنع القرار، ويعتبر حزب الشعوب الديمقراطي الحلقة الأخيرة والأضعف في هذا الصدد. لذلك لا تعتبر قراراته خاصة به، وصلاحيتها هي بالمعدل المقبول من قبل قنديل وإمرالي. وكما هو معروف، فإن حزب العمال الكردستاني الإرهابي، كهيكل يتعلم مما يواجهه منذ يوم تأسيسه وبدء أنشطته، لديه القدرة على تغيير أسلوب التنظيم والخطاب وفقا لروح العصر. وبتعبير أدق، تتصرف المنظمة الإرهابية وفق شكل المرحلة دون أن تحيد بشكل كبير عن هدفها وأيديولوجيتها، وذلك من خلال التعلم من أخطائها والاستفادة من التغيرات الدولية. وفي هذا السياق، يمكن القول إن حزب العمال الكردستاني استطاع بعد نهاية فترة الحرب الباردة، تغيير أسلوب العمل المسلح "التحرري الوطني" والانفصالي الذي كان صفة تلك الفترة، ونقل نشاطه إلى الساحة السياسية. وهكذا ظهر أول حزب سياسي يسير تحت سيطرة وتأثير حزب العمال الكردستاني. وقيل أن هذا الامتداد هو حزب العمل الشعبي (HEP) الذي تأسس في 7 يونيو/ حزيران 1990. وجاء هذا التأسيس من خلال التعليمات التي أصدرها عبد الله أوجلان، زعيم منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية، حيث قال: "يجب تعزيز العلاقات مع المنظمات الجماهيرية القانونية، والعمل على الدعاية لحزب العمل الشعبي (HEP) الذي تم تأسيسه لهذا الغرض، ودعم حزب العمل الشعبي في الانتخابات العامة في عام 1991 وإدخاله إلى مجلس الأمة التركي الكبير (البرلمان)".

عندما رفعت دعوى إغلاق ضد حزب العمل الشعبي (HEP) في عام 1992، تم على الفور تأسيس حزب الحرية والديمقراطية (ÖZDEP) في نفس العام كحزب سياسي بديل. وقررت المحكمة الدستورية إغلاق حزب العمل الشعبي في عام 1993. واستمرت قضايا الإغلاق المماثلة وتأسيس أحزاب

جديدة بهذه الطريقة، حتى تأسيس حزب الشعوب الديمقراطي في عام 2012, وأغلقت المحكمة الدستورية في هذه المرحلة 6 أحزاب بما في ذلك حزب العمل الشعبي. وقام مكتب المدعي العام للمحكمة العليا في 17 مارس/آذار 2021 بإعداد لائحة اتهام وإرسالها إلى المحكمة الدستورية, طالب فيها بإغلاق حزب الشعوب الديمقراطي بشكل دائم وفرض حظر سياسي على 687 عضوا، بما في ذلك الرؤساء المشاركون للحزب، بتهمة "هدف تدمير والقضاء على وحدة الدولة التي لا تقبل التجزئة أرضا وشعبا". كما جاء في لائحة الاتهام أن "حزب الشعوب الديمقراطي يتحرك وفق تعليمات وأوامر منظمة حزب العمال الكردستاني/اتحاد مجتمعات كردستان (KCK / PKK) الإرهابية المسلحة، وهو امتداد وكيان للتنظيم الإرهابي بمظهر سياسي". بالإضافة إلى ذلك، تضمنت لائحة الاتهام آلاف الجرائم ضد أعضاء برلمان ومسؤولين وأعضاء في حزب الشعوب الديمقراطي. وعندما يتم أخذ كل هذه القضايا بعين الاعتبار، فلن يكون من الصعب معرفة أن موقع منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية بالنسبة لدول للشرق الأوسط أو موقفها تجاهه، هو الذي سيحدد خطوط ممارسات وسياسات حزب الشعوب الديمقراطي تجاه الشرق الأوسط.

العنصر المسيطر في سياسات حزب الشعوب الديمقراطي تجاه الشرق الأوسط

لا يوجد مقاربة واضحة ومحددة في القانون الداخلي للحزب أو في برنامج حزب الشعوب الديمقراطي فيما يتعلق بسياساته تجاه الشرق الأوسط. لذلك، يمكن القول إن الحزب يحدد مواقفه وفقا لتطورات المرحلة. لكن، رغم ذلك يتم تضمين الموضوع في البيانات الانتخابية بشكل أو بآخر. ويمكن للقضايا التي وردت في فقرة السياسة الخارجية في البيان الانتخابي الذي نشره حزب الشعوب الديمقراطي للانتخابات العامة 2018، فيما يتعلق بالشرق الأوسط، أن تساهم في تكوين رأي حول هذه المسألة.

وجاء في البيان الانتخابي: "العمل من أجل أن تقرر شعوب الشرق الأوسط مستقبلها السياسي بكل حرية وأن تطوّر وتطبّق مفهوما ديمقراطيا وتحرريا قائما على المساواة لنظام الحكم الذي يختارونه بأنفسهم، وإقامة علاقات سلام مع الشعب الكردي في الشرق الأوسط، وبذل الجهود لإنهاء الحرب الأهلية في سوريا وإيجاد حل ديمقراطي يقوم على الأخوّة والمساواة بين الشعوب، والعمل من أجل الاعتراف بالإدارة السورية الديمقراطية التي شكلها شعب روج آفا، والوقوف ضد سياسات الاحتلال الإسرائيلية القائمة على التطهير العرقي، وتقديم الدعم

اللازم لإنهاء احتلال فلسطين والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولة مستقلة تمكنه من تقرير مستقبله السياسي، والعمل على تقوية الروابط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الشعوب التي ترفض الحدود المصطنعة التي رسمها الإمبرياليون في الشرق الأوسط، وإزالة العوائق البيروقراطية التي تحول دون تعزيز العلاقات بين الشعوب".

وبحسب البيان الانتخابي، فإن سياسة حزب الشعوب الديمقراطي تجاه سوريا تقوم على "روج آفا". إن مصطلح روج آفا الذي يأتي بمعنى "الغرب" باللغة الكردية، أنتجته بعض الأوساط القومية الكردية وتم إدراجه في مناهج التاريخ الكردي الحديث، ومع تأثيرات هيمنة خطاب حزب العمال الكردستاني بدأ يستخدم المصطلح لوصف "كردستان الغربية" التي تشكل ما يسمى بالجزء السوري وهو أحد الأجزاء الأربعة لكردستان كما يزعمون. إن وصف هذه المنطقة من خلال مصطلح تم إنتاجه بشكل أيديولوجي بحت وليس له معنى في حالته البسيطة وليس له وجود سواء في المصطلحات الكردية القديمة أو في اللغة المحكية اليومية أو الخطاب السياسي للشعب الكردي، يكشف لنا عن جوهر سياسة حزب الشعوب الديمقراطي تجاه سوريا.

جدير بالذكر أن أكثر الانعكاسات لهذه السياسة تجلّت بشكل واضح في تصريحات حزب الشعوب الديمقراطي فيما يتعلق بالعمليات خارج الحدود التي بدأت مع عملية درع الفرات في أغسطس/ آب 2016؛ حيث أعلنوا أنهم يعتبرون السياسة التركية تجاه سوريا غير صحيحة، وأنهم ضد هذه العمليات التي تنفذ في سوريا، وأنهم لا يريدون إعادة اللاجئين السوريين الموجودين في تركيا إلى المناطق الآمنة المشكّلة في سوريا، وطالبوا بمنح اللاجئين السوريين بشكل عام صفة لاجئ، وقالوا إن من الضروري إزالة التحفظ الوارد في اتفاقية جنيف بشأن هذه المسألة. أما بالنسبة لسياسة حزب الشعوب الديمقراطي تجاه العراق، فهو يخاطب ويتحدث مع حكومة إقليم كردستان العراق وليس الحكومة العراقية المركزية. وذلك لأن أنشطة حزب العمال الكردستاني في العراق تتركز بشكل كبير في إقليم كردستان. وفي هذا السياق، فإن ممارسات حكومة إقليم كردستان العراق التي تهدد أنشطة حزب العمال الكردستاني في المنطقة تقابل بردود فعل من حزب الشعوب الديمقراطي مثل ردود فعل المنظمة الإرهاب جدير بالذكر أن من الواضح أن حزب الشعوب الديمقراطي يعتبر موقف الحزب الديمقراطي الكردستاني مثيرا للقلق ويدعوه إلى التخلي عن هذا الموقف، في حين أنه يتعامل بشكل إيجابي مع الأحزاب السياسية الكردية الأخرى في المنطقة مثل الاتحاد الوطني الكردستاني وحركة غوران اللذين لا يواجهان مشاكل مع حزب العمال الكردستاني الإرهابي.

ينتقد حزب الشعوب الديمقراطي أيضا أنشطة الحزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا. كما أصدر مؤتمر المجتمع الديمقراطي (DTK) وحزب المناطق الديمقراطية (DBP) وحزب الشعوب الديمقراطي بيانا مشتركا ضد الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي شارك في عملية إخراج المنظمات الإرهابية من منطقة سنجار، ويعارض محاولات حزب العمال الكردستاني/حزب الاتحاد الديمقراطي الإرهابي (PKK/PYD) الرامية إلى السيطرة الكاملة على منطقة شمال سوريا، وجاء في البيان "يجب أن تنسحب البشمركة من سنجار على الفور". كما نظم ممثلو حزب الشعوب الديمقراطي في البلاد احتجاجات ضد العمليات التي تقوم بها القوات المسلحة التركية خارج الحدود. ولو نظرنا إلى السياسة التي يتبعها حزب الشعوب الديمقراطي تجاه إيران، سنجدها تسير بشكل عام بما يتماشى مع موقف النظام الإيراني تجاه الحركات الكردية السياسية والمسلحة في إيران. وتشكل مطالب حزب الشعوب الديمقراطي من إيران أمثلة على المقاربات السياسية التي يتبعها الحزب، حيث قال: "إن موقف النظام الإيراني من القضية الكردية يساهم في عدم حل المشكلة، وأن هذا الموقف يتعمق أكثر مع إعدام المحكومين الأكراد، لذلك يجب أن تنتهي هذه الممارسات التي تنتهك حقوق الإنسان في الحياة لاسيما الأكراد وغيرهم من السجناء ". هذه الأنشطة التي ينفذها حزب الشعوب الديمقراطي تحت تأثير وسيطرة حزب العمال الكردستاني وتخلق صعوبات لتركيا، تؤثر أيضا على المواقف الإقليمية الأخرى لحزب الشعوب الديمقراطي. . وفي هذا السياق، هناك تطور آخر يؤكد الأنشطة التي تركز على حزب الشعوب الديمقراطي وتهدف إلى تضييق مساحة السياسة الخارجية لتركيا، وهو أن وفد حزب الشعوب

الديمقراطي الذي أجرى زيارة إلى ليبيا في 19 ديسمبر/ كانون الأول2022 أعلن خلال تواجده في بنغازي أن الحزب يرفض اتفاقية ترسيم الحدود البحرية الموقعة بين تركيا وليبيا. كما يمكننا أن نرى مثالا مشابها على ذلك في انتقاد حزب الشعوب الديمقراطي للسياسات التركية تجاه التوترات في شرق المتوسط والمشكلة الدائرة بين تركيا واليونان. بعبارة أخرى، يمكن القول إن حزب الشعوب الديمقراطي الذي لا يظهر دعمه إلى تركيا فيما يتعلق بمخاوفها الرئيسية، يتبع الموقف المعاكس عندما يتعلق الأمر بتقييد تركيا وتقوية الكيانات مثل حزب العمال الكردستاني/حزب الاتحاد الديمقراطي.

ربما يكون النهج الإيجابي الوحيد لحزب الشعوب الديمقراطي تجاه المنطقة، هو موقفه من القضية الفلسطينية. وفي هذا الصدد، يتبادر إلى أذهاننا المثل القائل "حتى الساعة المكسورة تكون صحيحة مرتين في اليوم". حتى أنه يمكن التذكير هنا بأن السياسيين الموالين للحزب الديمقراطي الكردستاني ويرون أن حزب الشعوب الديمقراطي تحالف يساري، قالوا إن "الاشتراكيين في تركيا اتبعوا منذ البداية، سياسة دعم عرفات وعرقلة بارزاني". وفي النتيجة، يمكن أن يقال فيما يتعلق بسياسات حزب الشعوب الديمقراطي تجاه الشرق الأوسط ما يلي: "إن نهج حزب الشعوب الديمقراطي تجاه الشرق الأوسط على نفس مستوى نهج الشرق الأوسط تجاه حزب العمال الكردستاني". ولذلك، فإن إجابة ما إذا كان حزب الشعوب الديمقراطي الذي يؤيد أنشطة حزب العمال الكردستاني/حزب الاتحاد الديمقراطي ويتبنى خطابهما، يتبنى موقفا مستقلا في هذا الإطار أو يتصرف وفق سيطرتهم عليه، واضحة للعيان. مع الأسف الشديد، يمكن القول إن الكيانات السياسية التي أنشأتها منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية كنتاج للعنف في أوائل التسعينيات تماشيا مع هدفها المتمثل في نقل نفوذها من القاعدة الشعبية إلى المجال السياسي، لم تتمكن من وضع نفسها خارج دوامة هذا العنف. وفي هذا الصدد، فإن حزب الشعوب الديمقراطي شأنه شأن تلك الأحزاب الأخرى، ينتهج سياسة تجاه جميع القضايا بما يتماشى مع حزب العمال الكردستاني، حتى أنه يعتبر الأكراد من غير حزب العمال الكردستاني أو من المنظمات الكردية غير التابعة لحزب العمال الكردستاني، متعاونين/خونة. ولا تعتبر هذه الرؤية حلا سحريا لمشكلة الأكراد في تركيا. كما أن هذا الموقف الذي ينتهجه تجاه المنظمات الكردية في الشرق الأوسط، لن يساهم في بناء مستقبل سليم لتلك المنظمات. وسيؤدي هذا الوضع إلى عزل الأطراف المتأثرة بحزب العمال الكردستاني فيما يتعلق بسياسات الشرق الأوسط، كما سيعرضهم أيضا لمزيد من استغلالهم من قبل القوى الدولية، الأمر الذي سيؤدي في النهاية إلى مزيد من المعاناة. ■

إبراهيم آيدن: لواء سابق في الجيش التركي، له دراسات في مجالات مكافحة الإرهاب والشؤون الأمنية-العسكرية والاستراتيجية، مستشار رئيس مركز أورسام.